

الصحابي "ذو مخمر الحبشي" ابن أخ الملك النجاشي

خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم

في حي القنوات بدمشق

الباحثة: نبيلة القوصي

إخوتي قراء زاوية (معالم وأعيان):

حضر حجة الوداع قرابة مئة ألف صحابي في مكة المكرمة، ولم يدفن في مكة والمدينة إلا عشرة آلاف صحابي، أما البقية الباقية منهم فقد تركوا فضائل المدينة المنورة ومكة ليشدوا الرحال إلى العالم ليبلغوا رسالة الإسلام وإلى الأرض المباركة، الشام، التي أوصاهم بها سيد الخلق، فالشام هي أثر من آثار الصحابة رضوان الله عليهم الذين زرعوا فيها نسمات قدسية مباركة قد حملوا بذورها من المدينة ومكة ليزرعوها في دمشق الشام.

وفي دمشق العريقة حي خارج السور القديم يدعى "القنوات"، والذي كان يسمى (حارة البكوات والباشوات) نسبة لمؤسسيه من أثرياء دمشق، وأخذ حي القنوات اسمه من أحد أهم فروع نهر بردى



إذ أن تخطيطه يسمح بإيصال المياه إلى أكثر أقسام المدينة، حيث يتفرع من ناحية الشاذروان و يخترق الحي لتسليط مياهه ضمن قناة رومانية محمولة على قناطر حجرية ليتم سقاية المدينة القديمة... ويبدو أن ارتفاع مستوى المياه في نهر القنوات دعا الرومان إلى رفعه فوق قناطر حجرية تمتد من مدخل القنوات حتى مدخل جادة التعديل، ولكنها هدمت من قبل تيمور لئلا عندما غزا دمشق ولم يبق سوى واحدة من العهد الروماني، فجاءت أهمية هذا الحي عبر التاريخ من كونه خزان مياه دمشق، وحدوده اليوم شارع النصر شمالاً والمجتهد جنوباً وخالد بن الوليد غرباً والبدوي شرقاً، في هذا الحي نجد محلة تسمى (ذو مخمر الحبشي) ، حيث يقال في الحوليات الأثرية أنه دُفن فيها (ذو مخمر) ، صحابي حبشي قد ذُكر من خدم النبي الكريم.

وقد تناولت سير الأحباش كتب التاريخ الكبرى وكتب الرجال وكتب السيرة والتفسير... فالحبشة من حيث التعريف الجغرافي تقع غرب البحر الأحمر قديماً، وكانت متجراً لقريش، أما حديثاً فقد انقسمت إلى دول متعددة بعد ظهور أطماع الاستعمار في نهب خيرات العالم... وفي لسان العرب: الحبش جنس من السودان، وهم الأحباش والحبشان، وقيل هم الجماعة أياً كانوا، لأنهم إذا تجمعوا اسودوا....

وبالنظر إلى هذا التعريف نلاحظ أنه يعود إلى اللون الأسمر أو إلى الحال وهو الاجتماع والترابط. أما تعريف الصحابي مشتق من الصحبة، وهي المعاشرة، وصحبة الرسول هي تكريم من الله لجماعة من البشر اختارهم سبحانه ليكونوا بمعية النبي الكريم لكل أحداث عصر النبوة.

فقد التف حول النبي خليط من البشر والأجناس والألوان والبلدان يجمعهم الإيمان بالله ورسوله، والأحباش من الذين أكرمهم المولى بذلك.

فلما سمعوا بالنبي والقرآن فاضت أعينهم من الدمع آمنوا به وصدقوه لمعرفة بما كان يوصف به في الإنجيل، وفي مقدمتهم ملك الحبشة النجاشي، آمن بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم أرسل ابن أخيه ذو مخمر ليقدم النبي صلى الله عليه وسلم، بعد أن اجتذبه نور الإسلام وأسلم مع عمه.

فمن هو ذو مخمر الحبشي؟

الذي هاجر إلى دمشق الشام بعد وفاة النبي الكريم متمماً طاعته لنصيحة النبي الكريم في الهجرة إلى الشام فقال: (عليكم بالشام، عليكم بالشام)، ولتشتهر محلة في حي القنوات باسمه، والتي يقال أنه دُفن فيها...

اسمه:

تقول المصادر: أن اسمه ذو مخبر، ويقال ذو مخمر الحبشي، ونقل عن المؤرخين القدامى أن النجاشي أسلم وأرسل ابن أخيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخدمه، وكان ممن قدم المدينة من الحبشة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا ٧٢ رجلاً، لزم النبي المصطفى يخدمه، وقد ذُكر في موالي النبي الكريم، وله أحاديث عن النبي مخرجها عن أهل الشام، وهو معدود فيهم.

هاجر إلى الشام وروى عنه: جبير بن نفير، وخالد بن معدان وأبو الزاهرية حدير بن كريب ويزيد بن صلح.

أخرج من أحاديثه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه.

لقد كان لهؤلاء الفضل في نشر علوم الكتاب والسنة في دمشق الشام، ومسند الشاميين من أكبر مساند البلدان مما يدل على دورهم الكبير في نشر الحديث النبوي الشريف.....

إخوتي سائي دمشق الشام:

لم تذكر المصادر من سيرته إلا ما قد ذكرناه ... والمهم في الأمر أن نزداد من إيمان قد نقص على مر السنين، ونتيقن بيقين قوي أن هذه الأرض مباركة إلى يوم القيامة، تحتاج منا أن نرسخ المعرفة ونزداد علماً وأدباً، فالصحابية الكرام نالوا شرف الصحبة والافتداء والطاعة، ونحن سننال شرف سكنى هذه الأرض بالعلم النافع أو العمل الصالح أو الذرية الصالحة بإذن الله، ولنعتبر ونقتدي بهديهم.

وفاته:

إن المشهور عند أهل الشام أنه مات فيها ودُفن في حي القنوت في المحلة المشهورة باسمه اليوم.

فالشام دمشق كانت ولا زالت مطمح سكنى الصحابة والتابعين والعلماء الصالحين لكثرة ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، في فضل الشام ودمشق خاصة، بما نالته من أحاديث النبي في مدح أهلها ووصفهم بخيرة أهل الأرض لتصبح حلم ومطمح كبير ينمو في النفوس والأرواح لينالوا بمباهاة وفخر النبي بهم... فيا هناء من سدد وقارب وتعلم وعمل صالحا ليتقرب من حبيبه يوم الفلاح....

فلنجدد العهد بنية منبعثة من القلب لتجديد الايمان بالله ورسوله...

ونقول: اللهم يا من جعلت دمشق درة الكون، ومنحتها ما لم تمنح بلداً، أتمّ عليها نعمتك وهب لها من المؤمنين الصالحين الأخيار من يجسد معاني قوله تعالى: **(كنتم خير أمة أخرجت للناس)**، بقلوبهم الصافية البيضاء السليمة عن كل وصف يباعد عن مشاهدته، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، وبإيمان وتسليم لرب العالمين.

المصادر:

البداية والنهاية/ لابن كثير

أسد الغابة في معرفة الصحابة/ لابن الأثير

الاصابة في تمييز الصحابة/ لابن حجر

تهذيب التهذيب/ لابن حجر

الحوليات الأثرية للجمهورية العربية السورية/ مديرية الآثار والمتاحف